

كلمة جلالة الملك في أعضاء مكتب مجلس النواب ورؤساء الفرق البرلمانية

بعد أن ألقى رئيس مجلس النواب السيد أحمد عصمان كلمةً بين يدي جلالة الملك، أجاب جلالته بالكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة

تعلمون جيدا ما يخامرنا من سرور كلما اقتبلنا مكتب برلماننا الموقر وذلك لما نوليه لمؤسستكم من اهتمام واعتزاز وافتخار.

وهذه السنة اصطحب المكتب رؤساء الفرق البرلمانية لزيارتنا التقليدية، وإن كانت بدعة فإننا نعتبرها بدعة مستحسنة، عليكم أن تسيروا عليها كل سنة.

لست في حاجة لأن أقول لكم ولأذكركم بأن المؤسسات الدستورية بالنسبة لنا ربما نضعها هي الأولى في لائحة الأعمال المتواضعة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن نقوم بها جميعا وأن ننجح فيها جميعا، ذلك لأن المخلوق حينما يتمكن من قوته البدنية وإدراكه الفكري وحكمته التحليلية، يجب عليه بل يلزم أن يجد إطارا منهجيا للتعايش السليم، ولضمان حقوق الأقليات ولضمان الكرامة البشرية وتطبيق الحديث النبوي وهو قوله صلى الله عليه وسلم (المؤمنون كأسنان المشط)، ومعنى هذا أنه كان المغرب ولله الحمد دولة فاخرة مفتخرة، وحان الوقت لكي يتمتع بدستور يمنهج حياته، فرأينا أن هذا الدستور هو الذي سيتوج ما قام به المغرب، وحينما أقول المغرب أقول المغاربة ومن ولاهم الله أمرهم وشؤونهم منذ ما يزيد عن 1200 سنة.

إن الدستور الذي تتناولونه أنتم كسلطة تشريعية والحكومة كسلطة تنفيذية هو أداة مرنة حكيمة قابلة للتحسين والتلقيح، ولكن هو في آن واحد أداة للعمل تتسم بكونها أداة للعمل تتسم بكونها أداة نسبية وحينما أقول نسبية معنى هذا أنها تتناسب مع العبقرية المغربية ومع السلالة المغربية ومع المزاج المغربي.

أما الدساتير المطلقة تلك التي تكتب على الورق ولا تطبق إلا بشق الأنفس، فقد علمنا التاريخ — ونحن من الذين تفرغوا لهذا الموضوع في دراساتهم العليا — أنه يعدها كدساتير تبقى حبرا على ورق أو تأتي بالمصائب وبالدمار لمن يطبقها كدساتير مطلقة.

إن دستور البلاد أخذ بعين الاعتبار الفرد المغربي والجماعة المغربية أقلية كانت أو أغلبية، وأخذ بعين الاعتبار كذلك المزاج المغربي الذي هو مزاج غريب، ذلك أن المواطن المغربي رجل جماعي يحب العيش والعمل في إطار الجماعة، ولكن يتصف بنوع من الأنانية والانفرادية، ففي بعض الأحيان يقبل أن يخضع هذا لهذا وأن يكون هذا تحت هذا، فجمع الله شمل الجميع منذ قرون بأن وهب لهذا البلد نظاما ملكيا أقول دستوريا منذ القدم، ومنذ أمد بعيد لأنه قبل كل شيء مبني على أساس البيعة تلك البيعة التي يتعاقد فيها الملك والشعب.

ولنا في تاريخنا القديم منذ المولى ادريس الى يومنا هذا أمثلة كثيرة تدل على أن تلك الرابطة القانونية الأصيلة العربية الاسلامية رابطة البيعة قد مرت بامتحانات جد قاسية، وكان دائما الأخذ والرد هل الملك مطبق لمقتضيات البيعة ومقتضيات العقد الذي بينه وبين رعاياه ومن جهة هل الرعايا هم محترمون كذلك لما في البيعة ولما في التعاقد بينهم وبين ملكهم؟ فدستوريا جاء ليفصل السلطة ليعطي للحكومة مسؤولياتها وللبرلمان مسؤوليته الجسيمة التي أؤكد أنها تتمثل في مراقبة أعمال الحكومة، والصدع بالنصيحة لأمير المؤمنين، سواء في ملتمسات أو تحكيمات أو في خطب، فأذني ليست غافلة عنكم، إنها دوما تتابع أشغالكم بجد ويقظة وتستمع الى أقوالكم وتحاول أن تلبي طبق المستطاع نداءاتكم.

ودوركم الثاني هو دور تربوي فنحن ربما من أول الدول التي نقلت عبر شاشة التلفزة مناقشات برلمانية.

فالمناقشة يجب أن تكون حرة وجادة ودقيقة، ولكن يجب كذلك أن تكون مبنية على التعامل المؤدب والمهذب، وعلى الأخلاق النبوية التي يجب أن يتسم بها الحوار والجدل، لأنكم في تلك القاعة المحترمة وأنتم تمثلون الأمة أنتم كذلك في نفس الوقت أساتذة للجيل الصاعد في تعاملكم فيما بينكم وفي تناولكم للمشاكل وتحليلكم للقضايا.

وقد من الله علينا ولله الحمد نحن في المغرب الأقصى بأن أعطانا ملكة خاصة نطرح بها المشاكل فنحيط بها فنأتي على أبوابها ونختار أحسن باب لولوجها وأحسن باب للخروج منها بالنتيجة المتوخاة والمنتظرة.

علينا أن نبقى هكذا منفردين بغيرة على ما حبانا الله به من خصال، وأكبر خصلة حبانا الله بها هي أن وضعنا على شاطيء المحيط الأطلسي، ومن هنا جاءت مزية الرجل المغربي، لأنه لم يمتزج بالوافدين والعائدين، ولم يمتزج بالقوافل التاريخية التي لا تترك عادة إلا الفتات، وتأتي على أحسن ما يوجد أمامها، فلم تكن قط منعطفا ولم يكن المغرب قط ممرا، بل كان قاعدة عليها إتكأ التاريخ وفيها اجتمع الحسن والأحسن ومن قعر إنائها غير المختلط وغير المشبوه خرج الرجل المغربي بميزاته الخاصة وبشخصيته التي يجب على كل مغربي أن يفتخر بها.

فعليكم حضرات السادة أن تعلموا أنكم لا تمثلون الشعب والأمة في رغباتهما ومتطلباتهما فحسب بل عليكم أن تمثلوا الأمة المغربية في استمراريتها للحفاظ على عبقريتها وعلى شخصيتها في وقت كثر فيه — مع الأسف — المسخ وتفرقت الطرق وأظلمت السبل واحتار الناس والمربون، فلنا ولله الحمد دساتيرنا، دساتير أسرتنا وجماعاتنا وقبائلنا ومدننا وجبالنا وأريافنا، ولم يأت الدستور إلا ليتوجها ولينظم التعامل بينها.

فوقاكم الله سبحانه وتعالى مواطن الزلل، وسار بكم في طريق الهدى والرشاد وجعلنا دائما نفتخر بالمؤسسة التي تمثلونها هنا ونجعلها في المرتبة الأولى من لائحة ما قمنا به من أعمال متواضعة لوجه الله وتفانينا في خدمة بلدنا الذي يجب علينا أن نكون في محبته موحدين متفانين فيه، إني لا أعبد إلا الله، ولا أتبع إلا سنة رسوله، ولكن في ذات الوقت أهيم ببلدي وأهيم بمغربيتي وأشعر أنه حينما أقول هذا يقوله معي ويحس به معي جميع أفراد أمتنا وهم 25 مليون الحالية وعشرات الملايين المقبلة.

جعلنا الله دائما نحن وأبناءنا وأبناء أبنائنا وذريتنا في مستوى المسؤولية، وجعلنا دائما نستحق بلدا كالذي أعطانا الله سبحانه وتعالى إياه.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الثلاثاء 17 جمادى الأولى 1409 ـ 27 دجنبر 1988